الفصل الثالث

حول مفهوم الثقافة والمثقفين

رؤية تحليلية

د / منى السيد حافظ عبد الرحمن(*)

مقدمة

لاشك أننا نعيش عصراً يشوبه الكثير من المغالطة الفكرية والمخالطة في المفاهيم، والمفارقة في المعاني. الأمر الذي يستوجب منا الدقة والتحديد وخاصة في مجالنا؛ مجال البحوث الاجتماعية. وفي هذا الإطار يؤكد البعض؛ أن البحث العلمي يحتاج إلى درجة كبيرة من الدقة والتحديد، كما أن البحث الاجتماعي، إلى جانب ذلك، يستمد أغلب مفاهيمه من لغة الحياة العلمية. *(عبد الباسط حسن في ١٩٨٢ ، ص ١٨٢)*

ويعتبر تحليل مفهومي الثقافة والمثقفين من وجهة النظر السوسيولوجية ليس بالأمر اليسير على الإطلاق نظراً لتعدد التعريفات واختلافها من ناحية ولاختلاف الباحثين من جهة أخرى، ولاختلاف التوجهات الأيديولوجية من ناحية ثالثة، ولاختلاف الاتجاهات النظرية في مجال علم الاجتماع من ناحية رابعة، ولاختلاف السياق الاقتصادي الاجتماعي السياسي الثقافي من ناحية خامسة، ولاختلاف البعد المكاني الجغرافي من ناحية سادسة، ولاختلاف البعد الزماني من ناحية سابعة.

ورغم صعوبة المهمة، إلا أننا نسعى جاهدين في مجادلة اجتهادية نحو عملية الطرح والفهم والتحليل لمفهومين محوريين في المجال السوسيولوجي آلا وهما الثقافة والمثقفين.

(*) أستاذ علم الاجتماع المساعد ـ قسم الاجتماع ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس.

openkandil.com

إشكالية تحديد المفهوم وصياغة التعريف:

مما لا شك فيه أننا في مجتمعاتنا العربية بصفة عامة ومجتمعنا المصري بصفة خاصة نقع أسرى لعملية تحديد المفاهيم وتعريف المصطلحات.

إذ إن هناك خلط بين هذين المفهومين بين كل من العامة والخاصة من ناحية، ليس ذلك فحسب، بل أن هناك أيضاً اختلاف في المعنى بين رجل الشارع والمتخصص من ناحية أخرى، فضلاً عن أن هناك اختلافًا واضحًا بين كل من المتخصصين وبعضهم البعض من جهة وبين العامة وبعضهم البعض من جهة أخرى حول إشكالية المفهوم والتعريف من جهة ثالثة.

ومن ثمّ يجدر بنا في هذا المقام أن نحدث قدراً من فض الاشتباك في هذه الإشكالية الخاصة بتحديد المفهوم وصياغة التعريف الخاص بكل من مفهومي الثقافة والمثقفين.

حول مفهوم الثقافة والمثقفين

هناك خلط واختلاف بين كل من مفهوم الثقافة والمثقفين سواء بين العامة وهذا أمر مقبول، وبين الخاصة وهذا أمر يصعب قبوله.

فالثقافة كمفهوم من وجهة نظر العامة تعني الحذاقة والفطنة والفهلوة وكثرة المعلومات والمعرفة.

في حين تعني الثقافة من وجهة نظر الخاصة أعني المتخصصين الذين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يرى أن الثقافة تعني الجانب المعنوي الذي يشتمل على العادات والتقاليد والأعراف وما إلى ذلك.

أما القسم الثاني: فيؤكد أن الثقافة في معناها تتضمن الجانبين (المادي والمعنوي) بكل ما فيهما من تكنولوجيا وآلات وأدوات . . . الخ، فضلاً عن العادات والتقاليد والقيم. . إلى غير ذلك.

والقسم الثالث: يستخدم مفهوم الثقافة **Culture** بوصفها مرادفاً لمفهوم الحضارة **Civilization**.

ويعتبر الفريد فيبر A.Weber من أبرز هؤلاء الذين قدموا تفرقة واضحة في هذا الإطار إذ استخدم مفهوم الحضارة بهدف الإشارة إلى المعرفة العلمية ومدى سيطرتها على الموارد الطبيعية؛ على حين يظهر استخدام مصطلح الثقافة في النتاج الفني والديني والفلسفي للمجتمع. *(بوتومور: ١٩٧٣، ص١٩٤)*

وفي موضع آخر أكد ألفريد فيبر؛ أن الثقافة المادية قابلة للانتقال والتواصل بينما تظل الثقافة غير المادية محتفظة بطابعها لأنها غير قابلة للتواصل.

(الطاهر لبيب: ١٩٧٨، ص٣٢)

أما اصطلاح المثقفين من وجهة نظر رجل الشارع فهو يعني العارفين ببواطن الأمور والمتعلمين . . . إلى آخره. وفي هذا خطأ في التعريف وخلط في المعنى بينما يعرف المتخصصون مفهوم المثقفين بأنه يعني هؤلاء الذين لديهم قدر من الوعي وعلى درجة معينة من الوعي والإدراك والفهم لحقائق الأمور في مجالات عديدة. وهذا ما لا يمكن قبوله بشكل مطلق.

وحقيقة هناك خلط كبير بين المثقف والمتعلم ولكننا نؤكد في هذا الإطار ليس كل ما هو متعلم مثقف، وليس كل ما هو مثقف متعلم.

الثقافة والمثقفين على الخريطة السوسيولوجية

ولا شك أن هناك اختلافًا واضحًا في موقف الاتجاهات النظرية السوسيولوجية من الثقافة والمثقفين ومن ثم يمكن طرح موقف عنها وذلك على النحو التالي:

(١) موقف الاتجاه الوظيفي من قضيتي الثقافة والمثقفين:

يؤكد الوظيفيون أن الثقافة هي عبارة عن كائن اجتماعي يشبه الكائن العضوي، كما أنها تتكون من مجموعة من المناشط والاتجاهات والمواقف التي يلعب كل منها دوراً محدداً لتحقيق أهداف معينة. وهذه المناشط والاتجاهات والمواقف تنتظم في شكل نظم اجتماعية كالأسر والهيئات المختلفة الأخرى. *(B. Ma Linowski, ١٩٦٠, P. ١٥٢)*

كما يشير الوظيفيون ـ في إطار رؤيتهم النظرية ـ إلى أن المثقفين هم هؤلاء الفاعلون في النسق الاجتماعي وأن لكل منهم دوراً محدداً لتحقيق الهدف العام.

(٢) رؤية الاتجاه الماركسي لكل من الثقافة والمثقفين:

تنظر الماركسية إلى الثقافة بوصفها بناءً يتكون من مجموعتين أساسيتين :

المجموعة الأولى: تشكل البناء التحتي الذي يتحكم في تفاعل أبنية النسق مع بعضها البعض .

والمجموعة الثانية: تتكون من البناء الفوقي الذي يشتمل على الوعي والثقافة والقيم المعنوية . *(Antonina Klosawasa, ١٩٧٠, PP. ٥-٢٠)*

ومن ثمّ فإن المجموعة الثانية ـ من وجهة نظر الماركسية ـ تخضع للمجموعة الأولى .

ويضيف الماركسيون ـ في إطار توجههم الأيديولوجي ـ إلى أن المثقفين هم هؤلاء الذين يقع على عاتقهم مسئولية الثورة والتغيير .

(٣) تصور الفكر النقدي لمفهومي الثقافة والمثقفين:

يزعم الفكر النقدي في تعريفه للثقافة بأنها تلعب دوراً مستقلاً في المجتمع ، وأن القول بالحتمية الاقتصادية ـ من وجهة نظر الفكر النقدي ـ فيه نوع من السذاجة ، ومن ثم ترفض النظرية النقدية مناقشة علاقة البناء الفوقي بالبناء التحتي .

(زولتان تار: ١٩٩٢ ، ص٥٨)

أما مفهوم المثقفين ـ في ضوء الفكر النقدي ـ فهم هؤلاء القادرون على إثارة الوعي . فضلاً عن كونهم يقومون بدور الفاعل في عملية التغيير .

(٤) الثقافة والمثقفين في بوتقة التفاعلية الرمزية:

يرى التفاعليون الرمزيون ؛ أن الثقافة هي مجموعة من السلوكيات المتعلمة والمتراكمة التي نشأت وتطورت عبر أجيال عديدة من خلال تعلم الإنسان ترميز الأشياء .

(رالف بيلز وهاري هويجر: ١٩٧٦ ، ١٣٥)

كما يؤكد التفاعليون الرمزيون من خلال رؤيتهم التحليلية ؛ أن المثقفين هم الذين يحدثون قدراً من التراكم السلوكي في إطار من المعايير الاجتماعية . ومن ثم فهم يمارسون التأثير المتبادل على سلوك بعضهم البعض ، وتوقعاتهم عن البعض ، وعن بعض المواقف

والسلوكيات والرغبات والمشاعر والاتجاهات والاستجابات والأفكار من خلال اللغة والرموز والإشارات. *(عاطف غيث: ١٩٩٣، ص٢٥٣)*

(٥) نظرية التبعية وعلاقتها باصطلاحي الثقافة والمثقفين:

تنظر التبعية للثقافة على أنها نتاج لكل ما يحدث في أي مجتمع في علاقته بمنظومة الثقافة العالمية، معنى هذا أن هناك علاقة وثيقة الصلة ـ من منظور التبعية ـ بين كل ما هو محلي وبين ما هو عالمي ـ بعبارة أكثر تحديداً؛ أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال؛ تفسير العوامل الداخلية بمعزل أو بدون العودة إلى العوامل الخارجية.

(جلال أمين: ١٩٨١، ص ص ١١١، ١١٢)

ويؤكد أصحاب نظرية التبعية؛ أن المثقفين هم هؤلاء الذين يلعبون دوراً فاعلاً في توجيه سلوكيات الأفراد في المجتمع، فضلاً عن مسئوليتهم الكبرى في تنظيم عملية التفاعل الاجتماعي داخل مختلف المواقف الاجتماعية.

(٦) الثقافة والمثقفون على مسرح العولمة:

يرى منظري العولمة أن الثقافة هي نتاج للكون وكل ما يحدث فيه من تغير وتطور وثورة تكنولوجية ومعلوماتية على اعتبار أن الكون بمثابة أسطوانة دائرية تحيط بالعالم وبالبشر ككل.

وتنظر العولمة للمثقفين بوصفهم هؤلاء الفئة التي يقع على عاتقها مسئولية تذويب العموميات والخصوصيات مقابل طرح البدائل لاستيعاب الحاضر والرغبة في الاستمرار لتطوير المستقبل.

خاتمة:

لاشك أن الطرح المقدم في هذه الورقة عالج مفهومين أساسيين في المجال السوسيولوجي هما: الثقافة والمثقفين، وإذا كان هذا الطرح قد تناول تحليل هذين المفهومين بشكل شمولي **Macro** واتضح ذلك جلياً من خلال كل من التحليل البنائي الوظيفي والتحليل الماركسي فإن هناك بعض الاتجاهات النظرية في مجال علم الاجتماع التي عالجت الثقافة والمثقفين بشكل جزئي **Micro** كالتفاعلية الرمزية. إضافة على أنه إذا كانت هناك بعض الاتجاهات النظرية التي تنظر إلى كل الثقافة والمثقفين باعتبارهما انعكاساً للظروف

الاقتصادية الواقعية كالماركسية مثلاً، فإن هناك بعض الاتجاهات النظرية التي تمنح الثقافة دوراً مستقلاً في قيادة المجتمع من خلال فئة المثقفين كالبنائية الوظيفية والاتجاه النقدي في علم الاجتماع.

(منى حافظ: ٢٠٠٤، ص١٨٥)

obeikandl.com